جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 36 / حزيران 2023

أثرُ قرينةِ النَّغمةِ والتنغيمِ في توجيهِ المعنى في تفسيرِ الآلوسِي السَّورُالسَّبعُ الطوالُ أمثِلةً

The effect of the combination of tonality and intonation in directing the meaning in the interpretation of the Alusi ،the seven long surahs are examples

م.م محمد مسلم باقر
Asst. lect. Muhammad Muslim Baqer and the
تبارك جبار زبون
Tabarak Jabbar Zaboon

المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء المقدسة
The General Directorate of Education in the Holy Karbala Governorate

الكلمات المفتاحية: النغمة، التنغيم، الدلالة، الحذف، المعنى.

Key words: tonality، intonation، inference، deletion، meaning.

الملخص:

إنَّ بحث أثر قرينة التنغيم في توجيه المعنى في تفسير الآلوسي السور السبع الطوال أمثلة يعين الدارس على معرفة تماسك النص وتوجيه المعنى بصورة مبسطة ومفهومة وسهلة إذ إنَّ دور قرينة التنغيم في توجيه المعنى في القرآن الكريم دور محوري وفعَّال ممَّا جعل الآلوسي يبيِّنه في كثير من موارده من طريق العلامة الإعرابية والافراد والتثنية والجمع والتعريف والتنكير والتذكير والتأنيث وكل ما حقه التطابق مع ما يجعل المعنى متوجهاً توجيهاً لغوياً يعين المفسر والباحث في استخلاص المعاني الأقرب إلى معنى التنزيل والله أعلم من وراء القصد وختم البحث ببعض النتائج التي توصل اليها الباحث.

Abstract:

Examining the impact of the toning presumption in guiding meaning in the interpretation of the seven-length surat Alusi is an example that helps the learner to know the cohesion of the text and direct the meaning in a simplified، understandable and easy way، as the role of the toning presumption in guiding meaning in the Qur'an is central and effective، which has made Alusi shows it in many of its resources through the expression mark، individuals، paganism، plurality، definition، alarm، reminders، disguise and all that has the right to conform to what makes meaning a linguistic orientation that appoints the interpreter and researcher in extracting meanings closest to meaning. Download and God knows who is behind the intention and seal the search with some of his findings.

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاةُ وأتمُّ التسليم على خير الأنام والمبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد وآله الطيبين المنتجبين الميامين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

تتواصل الجهود العلمية من أجل الوصول إلى الوسائل المعرفية للغة العربية ويجد الباحثون أفضل قاعدة ينطلقون منها هو كتاب الله العزيز فالمفسرون والنحويون والبلاغيون وكل الباحثين عن المعرفة أرادوا رقي هذه اللغة ودراسة كل ما طرأ عليها من تحولات عبر العصور.

إنَّ اختيار موضوع يكون صميمه بيان المعاني ومعرفة أسرارها هو الذي جعلني أنطلق إلى موضوع قرينة النغمة والتنغيم في القرآن الكريم واختيار تفسير الآلوسي نقطة مهمة لتبيان توجيه المعنى فيه وقد اختار البحث السور السبع الطوال لهذه القرينة.

فهذا الموضوع يعالج كثيراً من القضايا وأهمها بيان مدى تناسق الألفاظ وتناسبها في القرآن الكريم مع المعاني المطلوبة وتوجيهها على وفق قرائن تهتم ببيان المعنى وهذه القرينة منها، وقد اعتمد البحث على مصادر مهمة لبيان هذه القضايا بعد القرآن الكريم منها كتب النحو مثل كتاب سيبويه والخصائص لابن جني وكتب التفسير مثل تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لابي حيان الاندلسي وروح المعاني للآلوسي وكتاب علم الأصوات لكمال بشر وكتاب اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمَّام حسَّان وغيرها من المصادر والمراجع.

وقد استعان الباحث بالمنهج الوصفي التحليلي من أجل الولوج بطريقة علمية وسهلة لمعرفة هذه القرينة وقد تحدث البحث عن تعريف النغمة والتنغيم لغة واصطلاحاً وأهم النقاط المهمة التي استند عليها الآلوسي في بيان النغمة والتنغيم في تفسيره ومن ثم تحدث البحث عن أهم النتائج وختم البحث بقائمة للمصادر والمراجع.

إنَّ لكل عمل لابد وله نسبة من الكمال والنقصان فأتمنى أن يكون هذا الجهد بأفضل صور وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.....

قرينة النغمة والتنغيم.

أولاً: تعريف النغمة والتنغيم لغة واصطلاحاً:

النَّغْمةُ والتنغيم لغة هي:((جَرْسُ الْكَلِمَةِ وحُسْن الصَّوْتِ فِي الْقِرَاءَةِ وَغيرها ...))[1].

والنغمة والتنغيم اصطلاحا((هو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق...))[2].

إذاً النغمة، أو التنغيم هو أداء متنوع في صيغة الكلام، بحسب المقام الذي يتطلب فيه الكلام فلكل مقامٍ مقال يناسبه، وطريقة تظهره بالمعنى المطلوب فالأساليب الكلامية تختلف من طريقة إلى أخرى فالتوبيخ يختلف عن التساؤل، والتهنئة تختلف عن الهجاء، والنهي يختلف عن الأمر، وغيرها من الجمل المتعددة الأغراض[3].

((والتنغيم قرينة لفظية إذ لا يمكن أن نتصوره إلا في الكلام المنطوق، فبه تُنطق الجملة بإطار موسيقي معين، وتُعطى نغماً خاصاً))[4]، فالتنغيم يختلف عن الترقيم بوضوحه في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة؛ لأنَّ استعماله أكثر من النقطة، والفاصلة، والشرطة غير أنَّ الترقيم في الكتابة يساعد التنغيم في الكلام[5].

ثانياً: علاقة التنغيم بالنبر والوقف :

ويمكن أن تتحدد هذه العلاقة بجانبين مهمين لادراكها، وهي كالاتي:

1. **علاقات صوتية :**

هنالك علاقة وثيقة مابين النبر والتنغيم وذلك؛ لأنَّهما يعدان من المظاهر التطريزية في التركيب، والكلمة فالنبر هو((صنو التنغيم مثالاً على الفونيم الثانوية، فلا يكون كذلك جزءاً من تركيب معين، إنما يكون بزيادة

كمية من الهواء على صوت أو أكثر من أصوات الكلمة في التركيب الواحد، فيعلو هذا الصوت على بقية الأصوات الأخرى التي تشكل مقاطع الكلمة فيحدث التفاوت قوة وضعفاً بين الأصوات))[6].

إذاً، فالنبر هو((وضوح نسبي لصوت أو لمقطع إذا قورن بغيره من الأصوات أو المقاطع المجاورة؛ فالصوت أو المقطع الذي ينطق بصورة أقوى يسمى صوتاً منبورا، أو هو قوة التلفظ النسبية التي تُعطى للصائت في كل مقطع من مقاطع الكلمة، وتؤثر درجة النبرة في طول الصامت وعلو الصوت)) [7].

وللنبر دلالة على بنية الكلمة صرفياً، وذلك؛ لأنَّه ينقل الكلمة عند نبره صوتاً، أو مقطعاً فيها من دلالة إلى أخرى ذات معنى، ودلالة مختلفة[8]، إذاً فالنبر له دلالة على بنية الكلمة،ومعناها.

أمَّاالتنغيم فهو دراسة صوتية لغوية متعددة كتعدد البيئات اللغوية فهو((تغييرات موسيقية تتناوب الصوت من صعود إلى هبوط، أو من انخفاض إلى ارتفاع، تحصل في كلامنا وأحاديثنا لغاية وهدف...، فنستعين بهذا التغيير النغمي الذي يقوم بدور كبير في التفريق بين الجمل، فنغمة الاستفهام تختلف عن نغمة الإخبار، ونغمة النفي تختلف عن نغمة الإثبات))[9].

إذاً فالنبر إبراز، أو بيان صوت، أو مقطع في كلمة، ومن أمثلة النبر في القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ ...﴾(الأعراف:37) إنَّ((نطق{أين ماكنتم تدعون من دون الله} دون نبر "ما" يتغير المعنى من استفهام موجه للكافرين عن شركائهم إلي ظرف مكان عام، أو اسم شرط وجزاء، وكلاهما غير مناسب))[10].

والتنغيم عملية ارتفاع، وانخفاض، أو صعود، وهبوط في الصوت يصيب الكلام ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ ...﴾ (التحريم:1) ((فجملة (تبتغي مرضات أزواجك)يمكن أن تكون استفهامية، وليس فيها أداة استفهام، وإنّما طريقة نطقها بصورة تناسب الأنماط التنغيمية للجمل الاستفهامية تدل على أنّها كذلك))[11]، إذ إنَّ النبر يتكرر على مقاطع في الكلام بنحو متتابع مما يشكل التنغيم[12].

فهنا يتبين أنَّ صلة النبر بالتنغيم وثيقة، وهذه الصلة جاءت من الضغط المتتابع في بيان الأصوات، والمقاطع بنحو خاص في التركيب، والنسيج الكلامي الذي بدوره أخرج لنا التنغيم المطلوب للكلام بشكل عام.

وعلاقة التنغيم بالوقف من العلاقات المهمة في التنوع النغمي الحاصل في الكلام؛ لأنَّ النبر((هو انقطاع أو صمت يقع في نهاية المجموعة النفسية ويسبقه انخفاض وتغيير هابط في التنغيم الصوتي...فانَّ الوقف يقوم بدور هام على صعيد الفصل بين المقاطع وخاصة في مايتعلق بقراءة القرآن الكريم))[13]،((وَالْوَقْفُ عِنْدَ أَكْثَرِ الْقُرَّاءِ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ تَامٌّ مُخْتَارٌ وَكَافٍ جَائِزٌ وَحَسَنٌ مَفْهُومٌ وَقَبِيحٌ مَتْرُوكٌ))[14].

فالأقسام الثّلاثة الأولى يمكن الوقف عندها بلا حرج، أما القسم الرابع أي القبيح المتروك عنده المعنى، فيكون سبباً في التحريف، كأن يقف القارئ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (الأنعام:36)((يَسْتَجِيبُونَ مَعَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلِ الْمَعْنَى أَنَّ الْمَوْتَى لَا يَسْتَجِيبُونَ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يُبْعَثُونَ مُسْتَأْنِفًا بِهِمْ)) [15].

ويُعدُّ الوقف من العناصر المهمة التي يستند عليها التنغيم، ويكون على نوعين ((نهائي ...ويرمز له بـ(↑) عندما يكون التنغيم صاعداً وآخر يرمز له بـ(↓)عندما يكون التنغيم هابطاً...ويسهل إدراك الوقف الأخير؛ لأنَّه يدل على نهاية التعبير...)) [16]، ويُعدُّ التنغيم من العوامل المكتسبة التي تؤثر في طول الصوت اللغوي[17].

إذاً فالتنغيم مهماً في الكلام، واتقانه يتطلب مهارة فنية لغوية، والنص القرآني أهم نص يعتمد على التنغيم في كثير من فهمه، وتفسيره لذا يجب أن يكون التنغيم على وفق أداء لغوي متقن.

2. علاقات غير صوتية :

تكون هذه العلاقة معنوية نفسية تتعلق بالمتكلم، والسامع، وذلك؛ لأنَّهما يعيشان في بيئة واحدة، ويعرفان التأثيرات الجانبية على التنغيم، فيتقاسمان وحدة الإدراك النغمي، والعوامل الخارجة عن الصوت، التي تؤثر في النغمة، وهي كثيرة لاتحصى؛ لأنَّهما لديهما قدرات عقلية، وكفاءات تخاطبية كفيلة بمعرفة التعبير النفسي النغمي لأبناء البيئة الواحدة[18].

إذاً تجتمع على إظهار التنغيم في الكلام عوامل صوتية يمتلكها المتكلم، ويستطيع إظهارها بصورة متميّزة دون غيره متأثراً بعوامل نفسية، واجتماعية تصاحب كل انفعال، وغالباً تظهر على إيماءات الوجه، وتعابيره مشفوعة بالنبر، والوقف.

ثالثاً:النغمة والتنغيم عند العلماء القداماء والمحدثين:

لقد ولَّدت ظاهرة التنغيم في التراث العربي خلافاً كبيراً بين الدارسين المعاصرين إذ انقسم الدارسون قسمين قسم يرى ((التنغيم في اللغة العربية الفصحى غير مسجل ولامدروس))[19].

إذ ذكروا ((إنَّ قواعد التنغيم في العربية قديماًمجهولة تماماً؛لأنَّ النحاة لم يشيروا إلى شيء من ذلك في كتبهم))[20]، ورداً على ذلك لايمكن أن يكون عدم وجود قواعد محددة في كتب النحاة القدماء لهذه الظاهرة دليل على عدم وجودها في كتب التراث الأخرى التي تعتني بالدرس الصوتي للقرآن الكريم، وإن كانت قواعده لم تحدَّد في كتاب مستقل، ومبحث خاص بها[21].

والقسم الآخر قد بيَّن أنَّ هذه الظاهرة كانت موجودة في كتب النحاة القدماء لكن على هيأة إشارات، وليست قواعد مستقلة في كتبهم وإنَّ جعلها ظاهرة نحوية بحاجة إلى معرفة كثير من المسائل اللغوية[22]، وقد أكَّد

أصحاب هذا القسم أنَّ القدماء كانوا أذكياء يتحدثون بوعي عن هذه الظاهرة عن طريق تحديدها بالمقام، والمقال[23]، وهنا سنحاول أن نقف على أهم ما أشار إليه علماؤنا في حق هذه الظاهرة، وكيف تناولها، وهل إنَّ لها علاقة في بيان المعنى، أو لا.

1. دلالة التنغيم عند العلماء القدامى:

من العلماء القدماء الذين اعتنوا بهذه الظاهرة سيبويه، الذي أشار إليها، واستطاع أن يربطها ضمن سياق الكلام إذ يمكن أن يعبِّر بها عن الإسلوب المناسب، بحسب النغمة والتنغيم الحاصل في الألفاظ ففي قول جرير[24]، (الوافر):

أعبْداً حَلَّ في شِعبِي غَرِيباً ... ألُؤماً لاأبَالِكَ وَاغتِرَابَا

((يقول :أتلؤم لؤماًوأتغترب اغترابًاوحذف الفعلين في هذا الباب؛لأنَّهم جعلوه بدلاً من اللفظ وهو كثير في كلام العرب))[25].

وعدَّها ابن جني(ت:392هـ) ميزة يستند عليها في القواعد النحوية التي تقبل الحذف، والتقدير، وغيره إذ يذكر في مجال حذف الصفة بدلالة الحال، فيجعل التنغيم، والنبر مهماً عندما يحذف الصفة التي يدلُّ الحال عليها((وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل. وكأنَّ هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دلَّ من الحال على موضعها...)) [26].

ومن ذلك نلحظ أنَّ ابن جني تحدث عن التقديم والتأخيروما يعطيه جرس موسيقي للكلمات فقد عرض للتنغيم، وللنبر إذ ذكر مصطلحات تخصُّ التنغيم، ومنها التطويح، وهو((من طوَّحَ ذَهَبَ بالشَّيءِ هُنَا وهنَاك...والتَّطريح هومن طَرَّحَ الشَّيءَ اذا طَوَّلَهُ رَفَعَهُ وأعلاهُ))[27]، والتفخيم أيضاً الذي يكون فيه تضخيماً، وتغليضاً للصوت حتى يتبيَّن في حالة الفم[28].

ويذكر التنغيم مع الهمزة في القرآن الكريم في لفظ الواجب فعندما تلحقه همزة التقرير عاد نفياً، وإذا لحقت النفي عاد إيجاباً ففي قوله تعالى﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ... ﴾ (المائدة:116)، فالهمزة في(أأنت قلت)، تكون للنفي أي (ماقلت)[29]، وفي قوله تعالى﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ...﴾(الأعراف:172)، فهنا لحقت الهمزة النفي فعادت بالايجاب أي(كذلك)[30]، فهنا للتنغيم دور في معرفة النفي، والايجاب.

ولعبد القاهر الجرجاني رأي في الألفاظ، وجرسها في الأذن، وطريقة إيصالها للمعنى فيعبِّر عن التنغيم، ويجعله يحاكي النفس، والمشاعر، والاحساس، فنجده في لفظة(الأخدع)، يقارنها في بيتين من الشعر، ويتذوق مكانها، وعلاقتها مع التراكيب الأخرى في السياق ففي قول الشاعرالصمة القشيري[31]، (الطويل):

تَلَفَّتُّ نَحوَ الحَيِّ حَتَّى وَجَدتَنِي ... وَجِعتُ مِن الإصغَاء لِيتاً وَأخدَعَا

وفي قول آخر[32]، (الطويل):

يا دَهرُ قَوِّم مِن أخدَعَيكَ فَقَد ... أضجَجتَ هَذَا الأنَامَ مِن خُرُوقِك

فنجد الجرجاني(ت471هـ) قد جعل للفظة(الأخدع)((مِنَ الثقل على النفس، ومن التبغيص والتكْدير ،أضعافَ ما وجدتَ هناك منَ الروْح والخفة،ومن الإيناس والبهجة))[33].

ويصف الجرجاني في تآلف الألفاظ نغماً، ومعنى، ولفظاً أي الإيحاء الصوتي ففي قوله تعالى﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (هود: 44)، فيرى أنَّ لهذه الالفاظ ((شيءٍ من هذه الخصائصِ التي تملؤك بالإعجازِ روعةً، وتحضُرُكَ عندَ تصورِها هيبةً تُحيطُ بالنفس من أقطارِها تعلُّقاً باللفظ من حيثُ هو صوتٌ مسموعٌ وحروفٌ تَتوالى في النُّطق؟ أم كلُّ ذلك لما بينَ معاني الألفاظِ مِنَ الاتِّساقِ العجيب؟))[34].

ولعلماء التجويد رأي في التنغيم إذ إنَّ القارىء العالِم بالقراءات لايمكن له أن يكون عالماً إلَّا إذا كان قد سمع القراءآت مشافهة حتى يعرف كل التنغيم الحاصل فيها[35]، ونجد المفسرين يحثون القراء على القراءة بحسب الأوجه القرآنية التي قاربت الأربعين وجهاً[36]،((فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديدا لفظ به لفظ المتهدد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم))[37]، ويذكر أنَّ تحقق الأساليب المطلوبة في القرآن الكريم يكون عن طريق التدبُّر والتفكُّر والابتعاد عن مغريات الحياة فعلى القارئ المُجيد أن يراعي المعاني والأساليب الكلامية من تهديد، وتخويف وإنذار؛ لأنَّ القاريء يجبُ أن يكون مصداقاً للآية الكريمة من قوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ (البقرة:121)، وحقِّ التلاوة هنا مراعاة كل الأساليب التنغيمية في الآيات المباركة[38].

وهنا نجد أنَّ التنغيم بدأ واضحاً عند العلماء القدماء، وإنَّهم قد عرفوه، وميزوه لذا وجد البحث أنَّ التنغيم له أغراضه الخاصة عندهم، ويجد البحث على منْ يقول بعدم وجوده عند القدماء أن يراجع التراث العربي بصورة أكثر دقة.

2. دلالة التنغيم عند العلماء المحدثين:

أخذت هذه الظاهرة حيزاً كبيراً لدى المحدثين إذ يرى الدكتور أحمد مختار عمر أنَّها((عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين))[39].

ومن بين العلماء المحدثين الذين تنبهوا لهذه الظاهرة الدكتور إبراهيم أنيس الذي يرى التنغيم عبارة عن موسيقى الكلام((فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد قد تختلف في درجة الصوت وكذلك الكلمات قد تختلف فيها...إذتختلف فيها معاني الكلمات تبعا لاختلاف درجة الصوت حين النطق بها))[40].

ويرى الدكتور تمَّام حسَّان أنَّ للنغمة وظيفة دلالية يمكن عن طريقها معرفة النفي، والاثبات في جملة الاستفهام كقولنا لمن يكلمنا ولاانراه أنت محمد[41]، ويرى الدكتور أحمد مختار عمر أنَّها((تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة))[42].

وممَّا لاشك فيه أنَّ للتنغيم أثراً مهماً في وظيفة التراكيب النحوية في الجملة، وذلك؛ لأنَّه شريك مهم في تحديد المعنى الدلالي مع السياق، والأدوات الأخرى، وله أثر واضح في بيان بعض مضامين الدلالة على التراكيب الخبرية التي لم تكن تحتوي عليها الجملة الخبرية أصلاً[43].

وعدَّ المحدثون التنغيم الحد الفاصل مابين جملة الاثبات، والاستفهام في الجمل التي لم تستعمل أداة الإستفهام، وذلك لبيان ارتفاع الصوت، وانخفاضه مابينهما، فهنا يُعدُّ التنغيم((عامل جدا مهم في تنميط الجمل إلى إثباتية واستفهامية وتعجبية...))[44]، ففي قوله تعالى﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ (الانسان: 1)، وقد وضَّح المفسرون هذه الآية في رأيين، فمنهم من يرى أنَّ في الآية استفهام إنكاري[45].

ومنهم يقول((قَدْ أتى عَلَى الْإِنْسَان حين من الدهر. «وهل» قَدْ تكون جحدًا، وتكون خبرًا.فهذا من الخبر لأنك قد تقول: فهل وعظتك؟ فهل أعطيتك؟ تقرره بأنك قَدْ أعطيته ووعظته)) [46]، أي أفاد الاستفهام للتقرير.

رابعاً: دلالة التنغيم على المعنى:

إنَّ للتنغيم دوراً مهماً في توجيه المعنى،((والتنغيم يعد قرينة صوتية كاشفة عن اختيار المتكلم لنوع معين من أنواع التفسير النحوي الدلالي، والمسؤل في كثير من الأحيان عن تحديد عناصر الجملة المكونة لها))[47].

((فمعنى كون النغمة قرينة أي إنَّ كل معنى من معاني الأساليب النحوية له ما يناسبه من التنغيم بحيث نستطيع بالنغمة أن نعرف ما إذا كانت جملة مثل (ما هذا؟) استفهاماً على بابه أو استفهاماً للإنكار والاحتجاج))[48].

فالتنغيم له دلالة على المعاني النحوية، وذلك؛ لأنَّنا نستطيع من طريقه أن نحدِّد الاثبات، والنفي في جملة لم تستعمل الأداة، وذلك بالاعتماد على ارتفاع النغمة، وانخفاضها فالنغمة تحدد، وتدل على المعنى النحوي الوظيفي[49].

فتعدِّد الأساليب في الجملة العربية يتعدَّد معها الهيكل النغمي الخاص بكل أسلوب ومن هنا ((التنغيم فدلالته عرفية لاطبيعية في الأصل...)) [50]، ولهذا((فالتنغيم مثلاًعامل مهم في تصنيف الجمل إلى أنماطها المختلفة من إثباتية واستفهامية وتعجبية...إلخ))[51].

وقد يدلُّ التنغيم على الأداة فتحذف، ويكون حذفها من غير لبس، وذلك بقولك(لا شافاك الله)، أي بحذف الواو بدلالة التنغيم بالوقف، والإستئناف[52]، وقد تتعدد معاني الأداة على وفق المعنى العام لجو الآية وتفسيرها

ففي قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾(الأعراف :184)((فقد قيل: إنّ (ما) في هذه الآية الكريمة نافية، والمعنى أولم يعلموا انتفاء الجنون عن صاحبهم، وقيل: إنّها استئنافية، استفهامية، والمعنى: أو يتفكَّروا أيّ شيء بصاحبهم من الجنون مع انتظام أقواله وأفعاله.وقيل: إنّ (ما) موصولة، والكلام إثبات، وعلى ذلك يكون الكلام خارجاً على رغم المشركين، ولكّن أبا حيّان (ت 745 هـ) ضعّف حمل (ما) على الموصولية، كما ضعّف حملها على الاستفهام))[53].

وهنا يكون التنغيم ركناًأساسياً في تحديد المعنى وتوجيهه معتمداً على كيفية نطق الجملة وطريقة تنغيمها إذ إنَّ تغيير النغمة يكون ركناً أساسياً في تغيير الدلالة في كثير من اللغات[54].

خامسا: دلالة التنغيم في القرآن الكريم:

تُعد اللغة العربية من اللغات المميزة، التي تكثر فيها الدلالات، والألفاظ؛ لأنَّها لغة متجددة، وباقية، وإنَّها لغة تهتم بالسمع، وتعطيه الأهمية في حكمها على النص فنجد الأذن العربية أذناً ذواقة للنصوص، وتميّز بين الفروق الصوتية الدقيقة فيها فظهر هذا الذوق على اللسان فأصبح ذلقاً مبتعداً عن الألفاظ النابية[55].

و((إنَّ هذا القرآن– في كل سورة منه وآية، وفي كل مقطع منه وفقرة، وفي كل مشهد منه وقصة، وفي كل مطلع منه وختام – يمتاز بأسلوب إيقاعي غني بالموسيقى مملوء نغماً)) [56].

ففي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (البقرة:121)،بيَّن الآلوسي أنَّ الآية خصَّت قوم قدموا من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وإنَّهم كانوا يتلون الكتاب بأصوات تدخل إلى القلب، وتسكن فيه؛ لأنَّها مضبوطة الحركات، والنغمات والمعاني[57]، لذلك نجد أغلب علماء التجويد، والتفسير يصفون القارىء المجيد هو من يستشعر بمعاني الآيات ويعطي معانيها تنغيماً يتناسب مع حالة السياق فيها بصوت حسن يقرع باب قلوب السامعين[58].

((نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأفصح ما تسمو إليه لغة العرب في خصائصها العجيبة وما تقوم به، مما هو السبب في جزالتها ودقة أوضاعها وإحكام نظمها واجتماعها من ذلك على تأليف صوتي يكاد يكون موسيقيا محضًا، في التركيب، والتناسب بين أجراس الحروف والملاءمة بين طبيعة المعنى وطبيعة الصوت الذي يؤديه))[59]، ويطمئن المؤمنين؛ لأنَّه يريح النفوس ويبعث عليها السكينة والأمان ويشعرها بأنَّ رحمته تسع كل شيء[60]، كما في قوله تعالى﴿ ...وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: 156)، فعبَّرالزمخشري(ت:538هـ) أنَّ الله سبحانه وتعالى وصف رحمته بـ((وأمّا رَحْمَتِي فمن حالها وصفتها أنها واسعة تبلغ كل شيء، ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في نعمتي))[61].

وفي مثال آخر على التنغم الذي لاتستطيع لفظة أخرى زائدة حرف أو ناقصة حرف أن تؤدي دورها في السياق؛ لأنَّها ألفاظٌ مستخلصة من كلام الله عزَّ وجلَّ فقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ...﴾ (التوبة: 38)، وفيها قراءتان((تثاقلتم إلى الأرض الأعمش، ءاثاقلتم بمد أبي عمرو، ومثله(قالوا ءاطيرنا النمل- 47)))[62]، وتعد هذه اللفظة ذات حروف صعبة الأداء على المتكلم والسامع؛ لأنَّها نقلت أفضل صورة عن حال المتكاسل والمتمسك بالدنيا وتارك الجهاد في سبيل الله بصورة تنغيمية تتلائم مع واقع الآية الكريمة[63]، وقد تناسب الصوت مع اللفظ هنا؛ لأنَّ القرآن الكريم ((امتاز بتخيير الألفاظ وانتقائها فانَّه يرصد بذلك مالهذه الألفاظ دون تلك من قوة تعبيرية))[64].

وفي لفظة أخرى في كتاب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴾ (النساء:72)، وهنا يذكر الآلوسي أنَّ لفظة(ليبطئن)، من الألفاظ التي تجمع معنيين خاصين بالبطأ والتثبط وذلك؛ لأنَّها تمتلك جرساً في أصواتها لايمكن أن تؤديه أي كلمة سواها[65] فدلالة هذه الأصوات قد رسمت لنا لوحة خيالية عن التبطئة في جرس الآية كلها واللفظة بنحو خاص إذ إنَّ اللسان يتعثر ويتخبط بها حتى يصل إلى نهايتها[66].

لذا نجد أن ((الايقاع المتوازن للجمل في الآيات السابقة يستهوي القلب وتجد له الأذن لذة ويحدث نغماًيسهل حفظه وترديده وتلك دقة معجزة مبهرة في توازن الجمل في النسق القرآني))[67].

وللتنغيم أثر في بيان الدلالة النفسية في الخطاب القرآني وذلك؛ لأنَّ الباري عزَّوجلَّ أكَّد أنَّ القرآن الكريم ضمَّ في طيَّاته الحالات النفسية التي تعرض لها الأنبياء مع أقوامهم وهذه الحالات منها الغضب والحزن والندبة في الخطاب القرآني مما يدل على تأثر الخطاب القرآني بالحالة النفسية ومنها قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَـٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (الأعراف: 150)، وهنا نلاحظ جو الآية المشحون بالدلالات النفسية ((وَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّهُ بَالَغَ فِي الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ حَتَّى هَمُّوا بِقَتْلِهِ وَمَعْنَى اسْتَضْعَفُونِي وَجَدُونِي فَهِيَ بِمَعْنَى إِلْفَاءِ الشَّيْءِ بِمَعْنَى مَا صِيغَ مِنْهُ أَيِ اعْتَقَدُونِي ضَعِيفًا، وَتَقَدَّمَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا وَلَمَّا أَبْدَى لَهُ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الِاسْتِضْعَافِ لَهُ وَمُقَارَبَةِ قَتْلِهِمْ إِيَّاهُ سَأَلَهُ تَرْكَ مَا يَسُرُّهُمْ بِفِعْلِهِ فَقَالَ فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْداءَ أَيْ لَا تَسُرَّهُمْ بِمَا تَفْعَلُ بِي فَأَكُونَ مَلُومًا مِنْهُمْ وَمِنْكَ))[68].

وللجملة الاستفهامية أغراض تنغيمية إنشائية تخرج عن جو الاستفهام كلاً بحسب ما يستحقه من السياق كالتهكم والتوبيخ والتقريع كما في قوله تعالى﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة: 80)، فقد أكَّدالآلوسي أنَّ((قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً تبكيت لهم وتوبيخ- والعهد- مجاز عن خبره تعالى، أو وعده بعدم مساس النار لهم سوى- الأيام المعدودة- وسمي ذلك عَهْداً لأنه أوكد من العهود المؤكدة بالقسم والنذر))[69]، فللتنغيم دور باخراج الإستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى التوبيخ، والتبكيت بالمشركين، وعبادتهم فكأنَّما السؤال فيه توبيخ وتقريع[70].

ومثله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾(النساء:97)، إذ عبر أبو حيان الأندلسي(ت:745هـ) أنَّ((هَذَا تَبْكِيتٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَهُمْ، وَرَدٌّ لِمَا اعْتَذَرُوا بِهِ. أَيْ لَسْتُمْ مُسْتَضْعَفِينَ، بَلْ كَانَتْ لَكُمُ الْقُدْرَةُ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى بَعْضِ الْأَقْطَارِ فَتُهَاجِرُوا حَتَّى تَلْحَقُوا بِالْمُهَاجِرِينَ))[71].

ويضاف إلى تنغيم الاستفهام أنَّه يستطيع أن يتبيّن آثار التعجب، والدهشة، والاستغراب مع التوبيخ من طريق الأداء الذي يضفيه على جو الآية من أثر الاستفهام كما في قوله تعالى

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ (يونس:32) فقد ذكر الآلوسي أنَّ جو الآية فيه استفهام خرج للانكار،والتعجب منه مبالغة في تبكيت المشركين، أي فكيف تصرفون عن الحق إلى الضلال، وإنَّ الفاء هنا أفادت ترتيب الانكار، والتعجب[72]، وهنا جاءت نغمة الاستفهام مختلفة في السياق فيذكر الطبري(ت:310هـ) إنَّ ((أي شيء سوى الحق إلَّا الضلال، وهو الجور عن قصد السبيل؟))[73]، أي إنَّهم ابتعدوا عن الحق، وفي قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة: 28)، هنا الآلوسي يضيف إلى الإنكار، والتوبيخ تعجب واستخبار وهذا التعجب ينمُّ عن حال الكفَّار، وعنادهم، وهم يعرفون الخالق، ويجهلون كيف يعترفون بقدرته، ولايخلوا هذا التعجب من التوبيخ[74].

وللجملة الخبرية أغراضاً تنغيمية الغاية منها إشعار الآخرين، وإخبارهم بما للخبر من التأثير لديهم ففي قوله تعالى:﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة:233)، يذكر الآلوسي أنَّ في الآية((أمر أخرج مخرج الخبر مبالغة ومعناه الندب أو الوجوب إن خص بما إذا لم يرتضع الصبي إلا من أمه أو لم يوجد له ظئر أو عجز الوالد عن الاستئجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لاستعطافهن نحو أولادهن والحكم عام للمطلقات وغيرهن كما يقتضيه الظاهر))[75]،فهنا الخبر قد عبر بطريقة نغمية مرنة فيها روح الحنان والأمومة للمولود.

وفي مثال آخر في قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: 105)، عبَّر الآلوسي عن الاخبار بأنَّه خرج إلى الوعد، والوعيد أثر تنغيم الألفاظ الواردة في الآية كلفظ (فينبئكم..)[76].

وقد اختلف في الجملة الانشائية، والإخبارية في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام:1)،والآلوسي((رجح هنا اعتبار الخبرية لما أن السورة نزلت لبيان التوحيد وردع الكفرة والإعلام بمضمونها على وجه الخبرية يناسب المقام... ومعنى استحقاقه سبحانه وتعالى الذاتي عند بعض استحقاقه جل وعلا الحمد بجميع أوصافه وأفعاله وهو معنى قولهم إنه تعالى يستحق العبادة لذاته وأنكر هذا صحة توجه التعظيم والعبادة إلى الذات))[77].

و((للمتكلّم دور كبير في تحديد معنى الجملة بوضعها في إطارها الصّوتي الملائم، فالتنغيم، أو التلوين الموسيقي يؤدي دوراً مهمّاً في التفريق بين معاني الجمل كالخبرية والإنشائية، فقد تكون الجملة خبرية في المعنى،

وهي تحتوي على أداة استفهام في اللفظ، وقد تكون استفهامية دون أن تحوي أداة استفهام..))[78]، ويمكن أن تتعلق الجملة، وتنغيمها بالهمزة فاذا لحقت همزة التقرير لفظ الواجب عاد نفياً، ويعود إيجاباً إذا لحقت لفظ النفي[79]، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾(المائدة: 116)، فهنا التقرير عاد نفيا في همز الواجب (أأنت)، أي (ماأنت)، وفي قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ (الأعراف: 172)، وذكرالآلوسي((أي أشهد كل واحد من أولئك الذرية المأخوذين من ظهور آبائهم على أنفسهم لا على غيرهم تقريرا لهم بربوبيته سبحانه وتعالى التامة قائلا لهم: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ أي مالك أمركم ومربيكم على الإطلاق من غير أن يكون لأحد مدخل في شأن من شؤونكم قالُوا في جوابه سبحانه وتعالى بَلى شَهِدْنا أي على أنفسنا بأنك ربنا لا رب لنا غيرك والمراد أقررنا بذلك) [80]، وبذلك عاد الاستفهام المنفي إلى تقرير، فالجملة الاستفهامية تفيد معنى الخبرية، إذا خرج الاستفهام إلى معنى التقرير، أو النفي[81].

وقد تحذف لفظة من السياق بدلالة التنغيم كحذف أداة الإستفهام وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾ (الأنعام: 76)، ونلحظ أنَّ الآلوسي قد أقرَّ بحذف أداة الإستفهام فذكر ((إن في الكلام استفهاما إنكاريا محذوفا، وحذف أداة الاستفهام كثير في كلامهم))[82]، كقول الشاعر عمر بن ابي ربيعة[83]، (الخفيف):

ثُمَّ قَالُوا :تُحِبُّها؟ قُلْتُ :بَهْراً ... عَدَدَ النَّجْمِ وَالحَصَى والتُّرَابِ.

((فَقيل أَرَادَ أتحبها وَقيل إِنَّه خبر أَي أَنْت تحبها وَمعنى قلت بهرا قلت أبحها حبا بهرني بهرا أَي غلبني غَلَبَة وَقيل مَعْنَاهُ عجبا))[84]، أي إنَّ أداة الاستفهام الهمزة محذوفة.

وكذلك يحذف المضاف من السياق بدلالة التنغيم، وإنَّه لابدَّ لكلّ حذف من دليل من اللفظ، أو الحال، وإلَّا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته، والمضاف إليه المحذوف يدلّ الحال عليه أحياناً، أي من السياق، أويدلُّ اللفظ عليه أحياناً أخرى، أي التلوينات المسماة تنغيماً[85]، ومنه قوله تعالى﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (الأعراف: 145)، فقد بيَّن الآلوسي أنَّ في الآية الكريمة ترهيب، ووعيد وقد ذكر أنَّ لها عدَّة أوجه الغاية منها أخذ العبرة، ومعرفة مصير من يتَّبع الظالمين[86]،((قال أبو الفتح: ظاهر هذه القراءة مردود؛ لأنه سأُفْعِلُكم من رأيتُ، وأصله: سَأُرْئِيكُم، ثم خففت الهمزة بحذفها وإلقاء حركتها على الراء، فصارت سأُريكم... هو أن يكون أراد: "سأُرِيكم" ثم أشبع ضمة الهمزة فأنشأ عنها واوًا، فصارت "سَأُورِيكم")) [87]، ويتَّضح هنا أنَّ الاشباع يعوِّض المضاف إليه.

وعليه فلقرينة التنغيم دور أدائي في بيان المعاني الكامنة تحت الألفاظ ولبيان هذه الألفاظ نحتاج إلى أداء تنغيمي عالٍ حتى يساعد على وضوحها في تحقيق غاياتها الربانية لذا وجد البحث أنَّ للتنغيم في القرآن الكريم أهمية بالغة لكن على وفق ضوابط علمية وعملية.

وقد بيَّن الآلوسي أثر هذه القرينة في تفسيره ووضح المعاني التي تحتها إذ إنَّه جعل القرائن الأخرى طريقاً للوصول إلى معانيها والأساليب التي تعتمد عليها من أجل أن يخرج بتفسيره للمعاني المطلوبة التي أقرَّها بالاعتماد على خبرته وملاحظاته من العلماء الآخرين.

الخاتمة

من أبرز النتائج التي توصل اليها البحث هي:

1- لقد كانت قرينة التنغيم عاملاً من عوامل توجيه المعنى عند الآلوسي وإنَّه قد ترجمها بشكل علمي ومعرفي عن طريق ذكرها بموارده التفسيرية لآيات القرآن الكريم.

2- لقد استوعب تفسير الآلوسي قرينة التنغيم وكان اسلوبه واضحاً فيها.

3- جعل الآلوسي لقرينة التنغيم محورية في ربطها وتوضيحها للنص القرآني بشكل مميز ودقيق.

4- لقد اعتنى الآلوسي بأهمية هذه القرينة لأنَّه قد استوعب ما لها من أثر عند النحويين المتقدمين في بيان المعنى وتوجيهه.

5- تُعدّ قرينة التنغيم من القرائن اللفظية في توجيه المعنى وبيانه لكي يصبح جلياً وواضحاً عندما تتضافر القرائن معها وأخصها قرينة العلامة الاعرابية والرتبة.

6- يعد التنغيم من العوامل المهمة في معرفة المعاني في القرآن الكريم وكانت له علامات فارقة.

7- لقد اتفق الآلوسي في كثير من حالات التنغيم مع المفسيرين والنحويين لكنَّه أيضاً اختلف معهم في بعضها.

8- إنَّ فطنة الآلوسي جعلت منه يستعين بهذه القرينة ويجعلها من القرائن التركيبية اللفظية المهمة في بيان المعنى لديه.

9- اتضح تضافر القرائن مع قرينة التنغيم جلياً لبيان كمال المعنى وبيان النص واخراجه بالشكل المطلوب.

الهوامش:

(1) لسان العرب، ابن منظور :مادة(نغم)590/12

(2) اللغة العربية معناها ومبناها:تمام حسان :226.

(3) ينظر: المختصر في اصوات اللغة العربية دراسة نظرية تطبيقية:محمد حسن حسن جبل:177

(4) أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى في تفسيرالبحرالمحيط:احمد خضير (اطروحة دكتوراه) جامعة الكوفة:82

(5) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها:226، 227.

(6) التنغيم ودلالته في العربية: يوسف عبدالله الجوارنة:بحث منشور في مجلة الموقف الأدبي، مجلد 31، العدد369 :37.

(7) التنغيم ودلالته في العربية: 38.

(8) ينظر: منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي : سمير استيته:271.

(9) التنغيم ودلالته في العربية: 36، 37.
(10) الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى د. حمدان رضوان أبو عاص مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد السابع عشر، العدد الثاني، يونيو20009: 74
(11) م . ن:70.
(12) ينظر: نبر الاسم الجامد والمشتق دراسة فيزيائية تطبيقية:د. احمد سلامة الجنادية:65.
(13) علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، بسام بركة:102، 103.
(14) البرهان في علوم القرآن:بدر الدين الزركشي: 350/1.
(15) النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري:229/1.
(16)التشكيل الصوتي في اللغة العربية : د.سلمان حسن العاني :140.
(17) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس:156.
(18) ينظر: وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء الدلالة المركزية :محمد محمد يونس:138.
(19) اللغة العربية معناها ومبناها:228.
(20) دراسات في فقه اللغة:محمد الأنطاكي :197.
(21) ينظر: ظاهرة التنغيم في التراث العربي، هايل محمد الطالب، بحث منشور في مجلة التراث العربي، العدد91: 81.
(22) ينظر: من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي: د. احمد كشك:51.
(23) ينظر: م . ن :57.
(24) ينظر : ديوان جرير:56.
(25) الكتاب:لسيبويه:339/1.
(26)الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني:372/2.
(27) لسان العرب :مادة (طرح)،(طوح):529/2، 535.
(28) ينظر: الوجبز في علم التجويد:محمود سيبويه البدوي :34/1.
(29) ينظر:روح المعاني:493/7.
(30) ينظر: الخصائص :272/3.
(31) حماسة أبي تمام، شرح التبريزي:114/3.
(32) البيت لابي تمام: ينظر ديوانه:262/3.
(33) دلائل الاعجاز: أبو بكر عبد القاهر الجرجاني :47.
(34) م. ن :46.
(35) ينظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين:ابن الجزري:9.
(36) ينظر: البرهان في علوم القرآن:217/2.
(37) م. ن :450/1.
(38) ينظر: البرهان في علوم القرآن:181/2.
(39) اسس علم اللغة:ماريو باي، ترجمة وتعليق:الدكتورأحمد مختار عمر:93.
(40) الأصوات اللغوية، ابراهيم: .175
(41) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها:228.
(42) دراسة في الصوت اللغوي: احمد مختار عمر :229.
(43) ينظر: دور التنغيم في تحديد معنى الجملة :د. سامي عوض :13، التفكير اللساني في الحضارة العربية:عبد السلام المسدي:265.
(44) علم (الأصوات):كمال بشر :28.
(45) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي:121/21.
(46) معاني القرآن: أبو زكريا يحيى الفراء:213/3،وينظر: مجمع البيان : للطبرسي:163/10
(47) النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي:محمد حماسة :117.
(48) مقالات في اللغة والادب: تمام حسان:358/1.

(49) ينظر: مناهج البحث في اللغة والأدب: تمام حسان:198.
(50) مقالات في اللغة والأدب :176/2.
(51) التفكير اللغوي بين القديم والجديد: كمال بشر:288.
(52) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها :87.
(53) دور التنغيم في تحديد معنى الجملة :د. سامي عوض :13
(54) ينظر: دلالة الالفاظ: ابراهيم انيس: 48.
(55) ينظر :معاني القرآن:195/3.
(56) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح :334.
(57) ينظر: روح المعاني:419/2.
(58) ينظر :البرهان في علوم القرآن :181/2.
(59) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي:33/2.
(60) ينظر: روح المعاني:143/13.
(61) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل .للزمخشري:165/2.
(62) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع: لابن خالويه:57-58.
(63) ينظر: روح المعاني:322/10، 323، الإتقان في علوم القرآن:22/4.
(64) الصوت اللغوي في القرآن الكريم:د. محمد حسين الصغير:190.
(65) ينظر: روح المعاني:137/6.
(66) ينظر: التصوير الفني في القرآن:سيد قطب:92.
(67) التنغيم في القرآن الكريم دراسة صوتية، سناء حميد البياتي:22.
(68) البحر المحيط ابو حيان الاندلسي:5 /183.
(69) روح المعاني:269/2.
(70) ينظر: روح المعاني:228/20.
(71) البحر المحيط:41/4.
(72) ينظر: روح المعاني:124/11.
(73) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جريرالطبري:84/15، وينظر: روح المعاني:76/24.
(74) ينظر: روح المعاني:74/2، اعراب القرآن وبيانه:81/1.
(75) روح المعاني :316/3.
(76) ينظر:روح المعاني:454/7.
(77) م. ن:9/8، 10.
(78) دور التنغيم في تحديد معنى الجملة: د. سامي عوض وعادل علي نعمة، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، المجلد (28)، العدد(1)، 2006م 91-92.
(79) ينظر: م . ن :92.
(80) روح المعاني:453/9.
(81) ينظر: الموازنة: للآمدي:211/1- 214.
(82) روح المعاني:259/8، وينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: عبد الله النسفي:20/2.
(83): ديوان عمر بن ابي ربيعة، محمد محي الدين عبد الحميد:431.
(84) مغني اللبيب:20/1.
(85) ينظر :المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات :360/2.
(86) ينظر: روح المعاني:364،365/9.
(87) المحتسب:258/1.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم
- اسس علم اللغة:ماريو باي، ترجمة وتعليق:الدكتورأحمد مختار عمر،نشرعالم الكتب،ط8، 1419هـ- 1998م.
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ): تحقيق سعيد المندوب، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط1، 1996م.
- الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى د. حمدان رضوان أبو عاص مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد السابع عشر، العدد الثاني، يونيو20009
- الأصوات اللغوية، د إبراهيم أنيس: مكتبة الأنجلو المصرية، 2007م.
- اعراب القرآن وبيانه: محي الدين الدرويش، دار اليمامة، دمشق- بيروت، دار إبن كثير، دمشق – بيروت، ط7، 1420هـ - 1999م.
- البحر المحيط ابو حيان الاندلسي(ت 745هـ): دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ على محمد معوض، ود. زكريا عبد المجيد النوتي، ود. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، 1428هـ - 2007م.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ): تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت – لبنان، 1391هـ.
- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الإيمان، 1997م.
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية : د.سلمان حسن العاني:ترجمة الدكتور ياسر الملاح، مراجعة الدكتور محمد محمود غالي،النادي الأدبي الثقافي جدة- المملكة العربية السعودية،ط1، 1403هـ-1983م.
- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، لبنان، 1425هـ - 2005م.
- التفكير اللساني في الحضارة العربية: عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط1، 1981، ط2، 1986م.
- التفكير اللغوي بين القديم والجديد، د كمال بشر: دار غريب، القاهرة، 2005م.
- التنغيم في القرآن الكريم دراسة صوتية، سناء حميد البياتي جامعة بغداد / مركز إحياء التراث العلمي العربي العراق، 2007م.
- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جريرالطبري (ت: 310هـ) تح: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة ط1، 1420 هـ - 2000 م.
- الخصائص، ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، تحقيق، محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت – لبنان، ط2، 1431هـ - 2010م.
- دراسات في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، دار الشرق العربي، بيروت، ط4، بدون سنة طبع.
- دراسة في الصوت اللغوي: احمد مختار عمر: الناشر، دار الكتب – القاهرة، 1418هـ - 1997م.
- دلائل الاعجاز: أبو بكر عبد القاهر الجرجاني(ت: 471هـ)تح: محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة،ط3: 1413هـ - 1992م.
- دلالة الألفاظ، د إبراهيم أنيس: مكتبة الأنجلو المصرية، 2010م.
- ديوان ابي تمام الطائي، حبيب بن أوس (ت231هـ)، فسر الفاظه ووقف على طبعه محي الدين الخياط، طبعة بيروت بدون سنة طبع.
- ديوان جرير، جرير بن عطية الخطفي(ت:114هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1406هـ - 1986م.

– ديوان عمر بن أبي ربيعة، محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى – مطبعة السعادة، 1371هـ – 1952م.
– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الآلوسي(ت1270هـ)، تحقيق: ماهر حبوش وحازم الحيالي، مط الرسالة، بيروت– لبنان، ط1، 1431هـ – 2010م.
– شرح ديوان الحماسة لابي تمام،الخطيب التبريزي (ت502هـ)كتب حواشيه،غريد الشيخ وضع فهارسه العامة، أحمد شمس الدين،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان،ط1، 1421هـ–2000م.
– الصوت اللغوي في القرآن الكريم:د. محمد حسين الصغير دار المؤرخ العربي، بيروت– لبنان، ط1، 1420هـ –2000م.
– علم (الأصوات):كمال بشر، الناشر دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،2000م.
– علم الأصوات العام . أصوات اللغة العربية: بسام بركة، مركز الانتماء القومي، لبنان بدون سنة طبع.
– علم اللغة العام/ الأصوات، د كمال بشر: دار المعارف بمصر، القاهرة، 1975م.
– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت،ط3– 1407 هـ.
– لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري (ت 711هـ)، دار صادر بيروت – لبنان، ط3، 1414هـ.
– اللغة العربية معناها ومبناها:تمام حسان،دار الثقافة شارع فكتور هيجو،طبعة 1994م.
– مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط24، 2000م.
– مجمع البيان لعلوم القران، للطبرسي ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت548هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط1، 1415هـ – 1995م.
– المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ): تحقيق علي النجدي ناصف وآخرون، وزارة الأوقاف، القاهرة – مصر، 1415هـ – 1994م.
– المختصر في اصوات اللغة العربية دراسة نظرية تطبيقية، د.محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، طبعة القاهرة، ط4، 1427هـ – 2006م.
– مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع: لابن خالويه(ت 370هـ)، مكتبة المتنبي القاهرة، بدون سنة طبع.
– مدارك التنزيل وحقائق التاويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت710هـ)حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ – 1998م.
– معاني القرآن، الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ)، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، دار المصرية للتأليف والنشر، مصر، ط1، 1988م.
– مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت 761هـ): تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مراجعة سعيد الأفغاني، دارالفكر، بيروت – لبنان، ط1، 1998م.
– مقالات في اللغة والأدب، د. تمام حسان: عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006م.
– من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي: د. احمد كشك، دارغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006م.
– مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990م.

– منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي (ت 833هـ): دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ –1999م.
– منهج التحليل اللغوي في النقد الادبي، سمير استيته، دائرة اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك إربد – الاردن، بدون سنة طبع.
– الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري، الحسن بن بشر الآمدي(ت 370هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر – عبد الله المحارب، دار المعارف – مكتبة الخانجي، ط1، 1994م.
– نبر الاسم الجامد والمشتق دراسة فيزيائية تطبيقية: د. احمد سلامة الجنادية، عمّان– دار الجنان، 1437 هـ.
– النحو والدلالة – مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د محمد حماسة عبد اللطيف: دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000م.
– النشر في القراءآت العشر، ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي (ت 833هـ): أشرف على تصحيحه ومراجعته علي محمد الضباع، ط2، 1424هـ – 2003م.
– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، 1404هـ – 1984م.
– الوجبز في علم التجويد، محمود سيبويه البدوي(ت1415هـ)، مركز الاسكندرية للكتاب، 2006م.
– وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية "دراسة حول المعنى وظلال المعنى، محمد يونس، جامعة الفاتح، ليبيا، 1993م.

الرسائل والأطاريح:

- أثر القرائن النحوية في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط: احمد خضير عباس(رسالة دكتوراه)، كلية الاداب– جامعة الكوفة، 2010م.

البحوث والدوريات:

- التنغيم ودلالته في العربية: يوسف عبدالله الجوارنة:بحث منشور في مجلة الموقف الأدبي، مجلد 31، العدد369.
- دور التنغيم في تحديد معنى الجملة: د. سامي عوض وعادل علي نعمة، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، المجلد (28)، العدد(1)، 2006م.
- ظاهرة التنغيم في التراث العربي، هايل محمد الطالب، بحث منشور في مجلة التراث العربي، العدد91.